مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : 38 ، العدد: 1 السنة : 2013 ، ص5-31

شعر الجوع في الأدب العربي (العصر المملوكي أُنْمُوْذَجَاً)

د0عماد جغيم عويد العبودي

كلية التربية / جامعة ميسان

الخلاصة :-

يقارب البحث ثيمة شعرية بارزة في المدونة الشعرية في العصر المملوكي ، وهي (الجوع) ، وقد تمثّل الشاعر المملوكي ((الجوع)) شعرياً وصاغه في خطابه الشعري . ويعدُّ الشاعر المملوكي من أقدر المبدعين على ترجمة الواقع شعرياً ؛ ولهذا قامت رسالة الشعر في العصر المملوكي على مبدأ تخلى عنه اغلب الشعراء على مرّ العصور – سوى الشعراء الصعاليك – وهو (عدم خيانة الواقع) ، ونجح الشعراء أيّما نجاحٍ في ترجمة الواقع إلى كونٍ شعريٍ عكس الواقع ولامس الفن .

قام البحث على مدخلٍ ، وثلاثة محاور وهي :

١ -صناعة الجوع .
٢ -مظاهر شعر الجوع .
٣ -الجوع والتمثيل الشعري .

المقدمة

يتناول البحث أحد الظواهر اللافتة في المجتمع العربي (عصر المماليك) ، وهو الجوع الذي يمثل الشعور البايلوجي الناتج عن عدم حصول الإنسان على الطعام .

وبما إن الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص المرآة العاكسة والمعبرة عن واقع المجتمع بما فيه من هموم وآلام ، فقد أصبحت المدونة الشعرية المملوكية الوثيقة الإبداعية التي اقتنصت انتكاسات البُنى الاجتماعية المتمثلة في انتشار الفقر والعوز في عموم الجسد العربي في ذلك العصر .

استهدف البحث موضوعة الجوع المرتبطة بالشكوى ثقافياً ، وحاول تفكيك التمفصلات الوقائعية عبر ثلاثة محاورٍ ومدخل ، تمثل المحور الأول في البحث عن أسباب الجوع إلى حد الوصول إلى جعل الجوع صناعة بيد السلطة بكل تمظهراتها (سياسية ، دينية ، ثقافية .... إلخ) ، وقد حاول الشعراء الرد على الإستراتيجيات المؤسساتية فعمد إلى إستراتيجية الشبع ، فأصبحت ثنائية صناعة الجوع / إستراتيجيات الشبع هي المحرك الأساس في العملية الإبداعية .

إنحلت إستراتيجية الشاعر في تحويل الجوع إلى موضوعةٍ شعرية ، عبَّر عنها بعدة أشكالٍ فنّية ، وهذا ما تناوله المحور الثاني للبحث .

أما الجوع والتمثيل الشعري فيعد المحور الثالث للبحث ، وفيه رصد الباحث تمثل الشعراء بموضوعة الجوع وإعادة إنتاجها في المنجز النصّي ، وفيه لامس الباحث التمظهرات الفنّية المتمثلة في الأشكال البلاغية (التورية ، التشبيه ، الاستعارة ، الألغاز .....) .

كما رصد البحث دور (التشخيص) و (التراسل الحسي) في اتجاه الشاعر إلى امتلاك الطعام فنّياً عبر هذه الوسائل .

وبما إن تغيير البنى التحتية يؤثر على البنى الفوقية المتمثلة في المنجز الأدبي ، فقد تلمس البحث العلاقة بين القلق الاجتماعي الناتج عن انعدام العدالة ، والمقدمة النمطية ، فقد فجّر الشكل الفني القار نسبياً .

قامت رؤية الباحث المنهاجية على رسم منهجٍ يعتمد على كشوفات النقد الثقافي ، ويضرب بجذوره في تفكيكية (دريدا) ، فمقاربة شعر الجوع اتكأت على تفكيك الوقائع التاريخية للوقوف على التمثلات الشعرية عبر الإشارات النصيّة في مدونة الشعر العربي في العصر المملوكي .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في مقاربتي خدمةً لتراث الأمة ، واعتذرُ عن زلاّتي وأخطائي .

مدخل

لم تسلم الأمة في أغلب مراحلها التاريخية من الظلم وعدم تحقق العدالة ؛ وهو ما ترك أثره على المجتمع العربي ، فأصبح المجتمع مكوناً من طبقتين (طبقة الأغنياء / طبقة الفقراء) ، فالأولى تنعم بلذة العيش ورغد المعيشة ، والثانية تعاني ألم الفقر والعوز والحرمان .

وعلى الأغلب فإن الطبقية الاجتماعية من تجليات البنية الصِدامية بين (المركز / الهامش) ، فالمركز السياسي والثقافي يعمل دائماً على إقصاء الآخر عبر عدة إستراتيجيا ت أخلّت في توزيع الثروات ، فتركزت بيد السلطة ومن يدور في فضائها ، بينما نجد عامة الناس عاجزين عن الحصول على أبسط أسباب الحياة ، فجاع الناس وأُتخم الحاكم وحاشيته .

ولم تقف الشعرية العربية في العصر العباسي بمعزل عن هذا التباين الطبقي ، بل حاولت أن ترصده وتنتجه شعراً بعد أن تمثلته فكراً وموقفاً .

اعتاد مؤرخو الأدب العربي على تسمية الاتجاهات الشعرية المعبرة عن هموم الناس وتطلعاتهم بـ(شعراء النزعات الشعبية)[1] ، وهو مصطلح لا يخلو من السلبية ؛ لأنه يوحي بضعف القيمة الفنية ، نعم فإن الإخلاص للواقع لابد أن يؤثر على التوهج الشعري فيحيله إلى قتامة ، لكن الشعر الذي يلامس الهموم الشعبية يحمل في طياته صدقاً يحيل التجربة الشعرية إلى معاناةٍ إنسانية متجسدة بالأشكال الشعرية .

لامس (أبو الشمقمق) موضوعة الجوع فشكا فقره وفاقته وحاول امتلاكه شعرياً مثل قوله[2] :

ما جَمَع الناسُ لِدُنياهُمُ أنفعَ في البيت من الخُبْزِ

والخبز باللحم إذا نلته فأنت في أَمْنٍ من التَّرزِ

ومن الشعراء الذين عاشوا تحت وطأة الفقر والحرمان (أبو المخفّف) ، وقد حملت مدونته الشعرية توقه إلى الطعام ؛ ذلك من خلال وصفه لرغيف الخبز بقوله[3] :

دَعْ عنك رَسْمَ الدّيار وَدَعْ صِفاتْ القفارِ

وعدِّ عن ذكر قومٍ قد أكثروا في العُقارِ

ودَعْ صفات الزنانير في خصور العذاري (م)

وصِفْ رغيفاً سَرِيَّاً حكتْه شمس النهارِ

أو صورةُ البدرِ لمّا اسْتتمَّ في الاستدارِ (م)

فليس يَحْسن إلا في وصفه أشعاري

ونجد (الأحنف العُكبُري)[4] يلامس موضوعة الجوع عبر التمثيل الشعري في قوله[5] :

عِشْتُ في ذِلَّةٍ وقلة مالِ واغترابٍ في معشرٍ أنْذَالِ

بالأماني أقول لا بالمعاني فغِذائي حلاوةُ الآمالِ

إذن فقد كانت الشعرية العربية في العصر العباسي تنافح ضد مظاهر الظلم ، ومن أهم تجلياته افتقاد الطعام وصعوبة الحصول عليه ؛ نتيجة للفقر المدقع الذي كانت تعانيه المجتمعات في عصر بني العباس .

أما إذا ما تقدمنا في مسيرتنا التاريخية لنصل إلى العصر المملوكي – المحطة التاريخية التي جعلت من جوع الشعب صناعة تقوي دعائم سلطتها القائمة – فسنجد الجوع يخترق الخطاب الشعري بأغلب تمظهراته الفنية ، والباحث سيقف على شعر الجوع في العصر المملوكي واصفاً أسبابه ومظاهره ومنتقلاً إلى تمظهرات الثيمة الموضوعية (الجوع) في جسد الشعرية العربية في العصر المملوكي .

صناعة الجوع

عمدت السلطة السياسية في العصر المملوكي إلى جعل الجوع صناعة ؛ ذلك عبر عدّة ممارسات سياسية وتشريعية كرّست السلطة وأقصت الشعب ، فنتيجةً للسياسات المتبعة دفع المجتمع العربي للانشغال بنفسه ولم يفكر بالخروج من ربقة الظلم والاستبداد .

فقد استحدث المماليك ديواناً غريباً من نوعه هو ((ديوان البَذْل أي ديوان البراطيل)) [5] ، وفيه تحولت الرشوة إلى قانون ملزم ، هو ما ترك أثراً واضحاً في بنية المجتمع الاقتصادية ، ((فقد كان لأصناف البَذْل والبرطلة التي شهدتها عصور المماليك ، آثارها السلبية البالغة بصورة خاصة على الريف ، فقد نتج عن ذلك أن خُربت معظم الأراضي الزراعية بسبب هروب أغلب الفلاحين وزراع الأراضي ، وذلك بسبب

ما تعرضوا له من شتى أنواع المغارم والمظالم على أيدي أتباع السلطة الذين صدرت لهم الأوامر بجمع المال بشتى الطرق والوسائل))[6] .

ونخرت الرشوة جسد الدولة عبر انصراف الموظفين عن مباشرة مهامهم إلى جمع المال بكل الطرق والوسائل ؛ وذلك لتعويض ما سبق لهم أن بذلوه للحكام من أجل الوصول إلى هذه الوظائف ، وإما لجمع أكبر قدر ممكن منه ، حينما أدركوا مثلاً أن فترة الولاية لن تدوم إلا بتجدد البذل ، وهذا ما كان يجعلهم يعملون على إرضاء السلاطين بشتى الطرق ،مما أدى إلى الفساد العام [7] ، الذي أضر بالمجتمع عبر اختراق الفقر والجوع للبنى الاجتماعية ، مما جعل الشعرية العربية تتغنى بذكر الطعام لتقاربه فنياً ، وهو ما تعكسه المدونة الشعرية في العصر المملوكي .

واستحدث سلاطين المماليك وعمالهم تشريعات أضرّت بحالة الناس المعيشية ، منها (عامل الحرامية) ، فقد كان لوالي القاهرة سنة 730هـ مملوكاً يسمى (بيدار) وهو عامل الحرامية المسؤول عن التعامل مع اللصوص لسرقة أموال الناس ونهبها[8] .

وأشاع سلاطين المماليك (السخرة) _ وهي أخذ الناس للعمل بدون أجرٍ _ ويروي المقريزي في أحداث سنة 711هـ دور المماليك في تسخير الناس : ((.... وفيه كثُر تسخير الناس للعمل في عمائر السلطان بالقلعة وقبض عليهم من بين القصرين وهم نيام ، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح ، فأبتلى الناس من ذلك ببلاءٍ عظيم .))[9]

وكثرت الحروب التي خاضها الممالك سواء أكانت داخلية أم خارجية أضّرت بأحوال الناس المعيشية ؛ لأنها تتطلب جمع الأموال من الناس ، مما جعل السلطة السياسية تتجه صوب فرض الضرائب ، فنحن نجد الملك (قطز)[10] يفرض على كل فرد مصري ديناراً ذكراً كان أو أنثى ، وأخذ أجرة شهرٍ كاملٍ من إيجار الأملاك والأوقاف ؛ لتغطية نفقاته الحربية ضد التتار[11] .

والإقصاء السياسي في العصر المملوكي بلغ أوجهُ ؛ من خلال تبوء اليهود والنصارى لمراكزٍ سياسية مهمة ، وقد عمد بعض أمراء الممالك إلى ذلك عمداً ، وهو ما ترك أثراً واضحاً في انتشار الظلم ؛ لان العلاقة بين اليهود والنصارى / والمسلمين علاقة متوترة تقوم على الكره والحقد المتبادل ، فإذا كان المسلم يظلم المسلمين فكيف باليهودي والنصراني ؟!

وتتضح البنية الصراعية عبر نصوص المتن الشعري المملوكي ، ومن ذلك قول الشاعر شهاب الدين الأعرج يشكو حاله أثر تسلط النصارى[12] :

وكيف يروم الرزق في مصر عاقل ومن دونه الأتراك بالسيف والترس

وقد جمعته القبط من كل وجهةٍ لا نفسهم بالربع والثمن والخمس

فللترك والسلطان ثلث خراجها وللقبط نصفٌ والخلائق في السدس

ونجد أمثلة شعرية أخرى تعكس هذه البنية الصِدامية في ديوان البوصيري ، وهو يحرض السلطان على الأقباط ويدعوه لاجتثاثهم ، يقول[13] :

انْظُرْ بِحَقِّكَ في أَمْرِ الدَّواوِينِ فالكلُّ قد غيَّرُوا وضْعَ القَوانينِ

... فَقُلْ لِسُلْطَانِ مِصْرَ وَالشآمِ مَعاً يا قَاهِراً غَيْرَ مَخْفِيِّ الْبوَاهِينِ

اكْشِفْ بِنَفْسِكَ أُسْوَاناً وَمَنْ مَعَها مِنَ الصَّعِيدِ بَلاَ قَوْمٍ مَسَاكِينِ

عُمَّالُها قَدْ سَبَوْهُمْ مِنْ تَطَيُّبِهِمْ ما لا يَكُونُ بَمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ

سَوُّا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أحَدٍ ولا أَمانَةَ لِلْقِبطِ المَلاعِينِ

لاَ تَأمَنَنَّ عَلَى الأَمْوَالِ سَارِقَها ولا تُقَرِّبْ عِدُوَّ اللهِ والدِّينِ

ويعرض ما عليه الأقباط من أكل السحت ورشوة الموظفين ، فيقول[14] :

فَقَدْ تَواطَوْا عَلَى الأَمْوالِ أجْمَعِها وَفَذْلَكُوا كُلَّ تِسْعِينٍ بِعِشْرِينِ

وَصانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إذَا رَفَعُوا لَهُ الْحِسابَ بِسُحْتٍ كالطَّوَاعِينِ

ورَبَّحُوهُ فقالَ الشَّيْخُ وَالِدُنا قَسُّ الْقُسُوسِ وَمُطْرَانَ المَطارِينِ

مِنَّا لَهُ العُذْرُ فيما حَلَّ يَقْبَلُهُ إمَّا بِوَسْمٍ مِدَادٍ أوْ لِصابُونِ

ولعِبَ الخطاب الديني _ في العصر المملوكي _ دوراً خطيراً في تكريس الطبقية الاجتماعية ؛ وذلك من خلال العمل على ((إلهاء الفقراء عن المطالبة بحقوقهم التي شرّعها الدين ، وإغرائهم بالرضا وأن النصيب الأوفى سيكون لهم في الآخرة ، وأن الأغنياء إنّما يتمتعون بالدنيا وللفقراء الآخرة)) [15]

، وهو ما ترك أثره على المجتمع العربي ، فأصبحت ثروات الأغنياء تتضخم ، وعامة الشعب يعاني الجوع والحرمان ، فقطعان الجياع وقعوا بين مطرقة الخطاب الديني السلبي وسندانة الواقع ، ويبدو إن منظومة الفكر الديني في ذلك العصر قامت على رؤية عدم الخروج على السلطان (ولي الأمر) حتى وإن كان جائراً [16] ، وهمّ البحث عن الهُوية العربية عبر تأييد الفكر الديني لقضية (الحروب الصليبية)[17] أو الدفاع عن أرض الإسلام مما جعل المجتمع العربي يتهرّأ من الداخل ؛ فتمظهر الانقسام والتجزؤ في المجتمع عبر عدم حصول الإنسان على أبسط مستلزمات الحياة وهو الطعام ، ومن المُستغرب أن نجد منظومة الفكر الديني تمرّر بعض التشريعات الغريبة من خلال الصمت عليها ، وعدم التجرؤ على نقضها ، ومنها (زكاة الدولة) – وهو ما كان يؤخذ من الرجل من زكاة ماله أبداً فإذا مات أو عدم ماله يؤخذ من ورثته بالضرب والحبس – [18] فلم يُحرك أوصياء الفكر الديني ببنت شفةٍ على هذه الممارسة المجحفة ، مما جعل المجتمع يفتقر لكي تحقق السلطة السياسية هيمنتها القسرية .

أذن فقد مارس الخطاب الديني دوراً سلبياً_ ولو بشكلٍ غير مباشر _ أدى إلى تغلغل الجوع في البنية الاجتماعية وهذا ما عكسه الخطاب الشعري في العصر المملوكي .

مظاهر شعر الجوع

غطّى الفقر مساحةً واسعةً من جسد الدولة العربية في العصر المملوكي ، فقد جعل الإنسان لا يقدر على سد رَمقه ورَمق من يعيله ، وهو ما ترك أثراً واضحاً في مدونة الشعر العربي ، فأغلب النصوص الشعرية التي وصلت إلينا من ذلك العصر – والتي شقّت طريقاً صعباً في دهاليز العتمة الزمنية – لامست موضوعة الجوع بصورةٍ مباشرةٍ ؛ ذلك عبر شكوى الشاعر لحاله وحال عياله ، أو من خلال النصوص الوصفية لأصناف الطعام ، والتي بدورها تعبر عن رغبة الشاعر في الحصول عليها .

فقد جعل شاعر العصر المملوكي (الخبز) موضوعاً شعرياً ، فوصفه أدقّ الوصف ، وقام بتجسيده عبر عدةِ لوحاتٍ شعريةٍ ، اتصفت بالدقة التصويرية والصدق التعبيري ؛ لأن الشاعر ينظم عن تجربةٍ حقيقيةٍ نابعة من صميم المعاناة الإنسانية ، التي انحدرت لتجعل رغيف الخبز بعيد المنال ، وهو ما نجدهُ في قول أبي الحسين الجزَّار[19] :

قسماً بلوحِ الخبزِ عند خروجهِ من فُرنِهِ ، ولهُ الغداةُ بخـارُ

وَرَغايفٍ مِنْهُ تَرُوقُ وَهْـيَ في سُحْبِ الثِفالِ كأنَّهـا أقْمارُ

مِنْ كُلِّ مَصْقُولِ السَّوَالِفِ أحْمَرِ الـ خَدَّيْنِ لِلْشُونِيزِ فيه عِذَارُ (م)

فَكأنَّ باطِنَهُ بِكَفِّكَ دِرْهَـمٌ وكأنَّ ظاهِرَ لَوْنِهِ دِينـارُ

كالفِضَّةِ البَيْضاءِ لكـنْ تَغْتَـدي ذَهَباً إذا قَوِيَتْ عليهِ النّارُ

فالشاعر يُقْسِمُ (بلوح الخبز) و(الأرغفة) ، ومن المعروف إن المُقسم بهِ عادةً يكون من الأشياء العزيزة البعيدة المنال ، وإن دوران الشاعر في مخيلته التصويرية والتقاطه صوراً للخبز من أكثر من زاوية ، يعكس دقتهُ التصويرية ، ومحاولة منه لامتلاكه عبر بلاغة التصوير ، ونجد الكثافة التصويرية في رسمه والمتمثلة بين التجسيد في قوله : (مصقول السوالف أحمر الخدين ...) ، والتشبيه في قوله : (كأنها أقمارُ ، باطنه درهمٌ ، ظاهر لونه دينار ، كالفضة البيضاء) ، وتحوله إلى ما يشبه الذهب ، تعكس توقَ الشاعر في الاستمتاع الجمالي بكل التفاصيل الممكنة لرغيف الخبز .

أما مع الشاعر السراج الوراق في وصف (الخبز) ، فنجد الحقول الدلالية تتمازج عبر الاتكاء على صورة الأم التي تلد غلاماً ، فجسّد الشاعر رغيف الخبز على شكلِ طفلٍ جميلٍ ، وعلى ما في الصورة من مسحةٍ شعبيةٍ ؛ لانتزاعها من الحياة اليومية ، إلا إنها تتفجر بالثراء الدلالي ؛ لتصويرها لجمالية حياتية تجسد اللحظات الشعورية خير تجسيد ، وهو ما تجلى في قوله[20] :

بَشّرِينا بِسَلَّةِ الخُبْزِ حُبْلَى وافرجِي من رُغفانِها بِغُلامِ

رَقِّصِيهِ مُرَ بْرَبَ الخَدِّ بلَدِي الحُسْنِ يَجلُو وَجْهاً كَبَدْرِ التَّمامِ

فَهُوَ يُغنيكِ عن سِواهُ ولا يُغْنِيكِ عنهُ شيءٌ وَذُوقي كلامي (م)

وَدَعِينا عنِ الإدامِ وَعِدّي القِدْرَ أُمّاً قَد آذَنَتْ بِالفِطامِ

ونجد بعض أصناف الأطعمة – مثل الكنافة – يحتل مساحة واسعة في مدونة العصر المملوكي سواء أكان على مستوى الخطاب الشعري أم التصنيفي [21] المتمثل في جعل الصنف موضوعاً للتلغيز أو من خلال الكثافة في عدد النصوص ، ولم يقتصر وصف الكنافة على شاعرٍ دون آخرٍ ، على الرغم من

اشتهار الجزّار بذلك، فنحن نجد البوصيري وابن نُباته المصري وابن دانيال والسراج الورّاق .... حاموا على الكنافة وصفاً ، وتلغيزاً .

وهذا أبو الحسين الجزّار يصف حرمانه منها بقوله[22] :

مـا رأت عينـيَّ الكنـافة إلاّ عند بيّاعها على الدّكانِ

ولعمري ما عاينت مقلتّي قطـراً سوى دمعها على الحرمان ِ (م)

ولكم ليلةٍ شَبعت من الجوع عِشاءً إذ جزت بالحلوانـــي (م)

ومع ما يحمله النص من بساطةٍ ؛ لظرافته ، يحمل بعداً مأساوياً ؛ لانتفاء حصول الشاعر على الكنافة ، فعمد إلى تراسل الحواس ليحقق الاستحواذ البصري على المستوى النصّي .

والصور الأسرية كانت من الصور الضاغطة على الشعراء ؛ لما تثيرهُ من ألمٍ وحسرةٍ على رب الأسرة، وكثيراً ما يعكف الشعراء على تجسيد آلام أفراد ألأسرة في نصوصهم الشعرية ، ولاسيّما تصوير جوع الأطفال ، وقد برع البوصيري في ذلك بقوله[23] :

إليكَ نَشْكُو حالَنـا إنّنا عائلةٌ في غايَةِ الكَثْرَهْ

أُحَدِّثُ المَوْلَى الحَدِيثَ الذي جَرَى لهمْ بالخيطِ وَالإبْرَهْ

صَاموا مَعَ النَّاسِ ولكنَّـهمْ كانوا لِمَنْ يُبصِرُهم عِبرَهْ

لـهُمْ مِنَ الخُبَّيْزِ مَسْلوقةٌ في كلِّ يَوْمٍ تُشْبِهُ النَّشْرَهْ

أَقُول مَهما اجتمعوا حَوْلها تَنَزَّهُوا في الماءِ والخُضْرَهْ

وأقبلَ العيدُ وما عندهـم قَمْحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فطْـرَهْ

فارْحَمْهُمُ إنْ أَبْصَرُوا كَعْكَةً في يَدِ طِفْلٍ أَوْ رَأَوْا تَمْرَه

تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمُ نَحْوَهـا بِشَهقَةٍ تَتْبَعُها زَفـرَهْ

فكم أُقاسِي منـهمُ لَوْعَـةً وكم أُقاسي منـهمُ حسرَه

كم قائلٍ يا أبَتا منـهـمُ قَطَعْتَ عَنَّا الخُبْزَ في كَرَّهْ

وجعل الشعراء العيال من أهم وسائل الاستجداء ، وبها يعرضون شكوى الجوع على الممدوح ، مثل قول ابن نُباته المصري[24] :

سيّدي دعوة شـاكٍ من عيالٍ جُوْرَ حُكْمِ

يطلبون اللّحمَ في العي د وما يدرون همّ.ي (م)

وأخاف العيد يأتـي وأنا قطعة لحمِ

وقول ابن دانيال[25] :

سَيدي حاصلُ الإقامةِ نَزْرٌ ولهذا هُنا كَرِهتُ الإقامَه

وَصغاري مثلُ اليهودِ بـذُل تَشْتَهي لو أتَيتُهُمْ بعَلامه

لو رأُوا حَرْفَ كرةٍ من رغيفٍ جعلوهُ لَدَيْهمُ شَمّامَـهـ

ومن تجليّات شعر الجوع في العصر المملوكي ، ظاهرة إهداء الطعام وما يلازمه من نصوص شعرية تتخذ من وصف الطعام بؤرةً دلاليةً ، والخطاب الشعري يقوم على حوارٍ شعري بين المُهْدِى والمُهدَى إليه ، ليتبلور نصان شعريان يدوران حول التشوق إلى الطعام والحرص على امتلاكه[26] .

وتلبس الشكوى المريرة من الجوع اللباس الفكاهي في أغلب نصوص (شعر الجوع) ، وهذا ما نجده عند (ابن دانيال) بقوله[27] :

لَقد هَجَرَتْ بيتي القطاط لنقده وأصبحَ كلبي لا يرى صورةَ العَظْمِ

وكانونُ قِدري مثلُ كانونَ باردٌ وَملَّ عليهِ العنكبوتُ منَ البرمِ

وَقَد عَتّقت نارٌ للوقودِ مغارِفـي ولاحَتْ زَبَا دُنيا دوارسَ كالرَّسمِ

وأمسّتْ مناديلُ الخوانِ كأنّـهـا طيالسُنَا إذْ لم تُعَدَّ من الزُّهـمِ

وصارتْ قدوري وهي شهبُ من الطوى كأنْ لم تَكُنْ يوماً تُعدُّ منَ الدُّهمِ

وقد هَجَرتنا النَّملُ بعـدَ تَوابلٍ لَنا أُخِّرتْ عنّا وذلكَ من قَسْم.ي

وما كُنتُ ممَـنْ بالحواظـرِ قانعاً وَلا آكلاً للجبنِ إلا علىٰ رغم.ي

سقى اللهُ أيامَ الهريسة وابـلاً من الدُّهنِ ما ينفَكُّ هيَدبُه يَهم.ي

ويجعل السراج الوراق الجوع أداةً للصلح بين الغريمين التقليديين (القط / الفأر)، فشكل الجوع الجمع بين المتخاصمين ، واللجوء إلى الحيوان في عرض الشكوى يمثل المصداق الأكبر للحس الاغترابي الذي يكابده الشاعر[28] :

قَدْ أَصلَحَ الجُوعُ بَينَ القِطِّ وَالفَارِ عِندِي لإدبارِ حَظّـي أَيَّ إِدْبارِ

وَرَقَّ هذا لِذا مِـن سُقْمِه فَهُما كَعَاشقٍ وَخَيالٍ نَحوَهُ سَارِي

وَفي الشَّدائدِ ما يُنسِي الحَقُودَ ومَا يُثني الحَسُودَ إلى حُبّ وَإيثارِ

فَلَوْ رَأَيْتَهما شَاهَدْتَ مِن عَجَبٍ أَلا رَأَيْتَ وَلَمْ تَسمَـعْ بَأخبارِ

هذا على مَطبخي المَبرودِ في حُرَقٍ وَذا على مَخْزَني المَكْنُوسِ في نَارِ

وَمَا بيَ القِطُّ هَمُّ الفَارِ أَذْهَلَنـي عنهُ وَضَاعَفَ مِنهُ شُغْلَ أَفكارِي

مَا كادَ يَعْثَرُ فـي دارِي لِشِقْوَتِهِ بِقَمْحَةٍ لا ولا الأَهْلُونَ في الدَّارِ

وشكا ابن دقيق العيد (الفقر) وما يلازمه من جوع ،بيد أنّه لم يصرح علانيةً كما فعل أقرانه من الشعراء كالوراق والجزار ، فنجده الوقور الذي يشكو ، ولعل الأثر الديني كان له الأثر الكبير في افتراق ابن دقيق العيد في شكواه للجوع عنهم ، فنجده يقول[29] :

لعمري لقدْ قاسيتُ بالفقرِ شدة وَقعتُ بِهَا فِي حَيْرة وَشَتات

فإنْ بحتُ بالشكوى هتكتُ مروءَتي وإنْ لن أبحْ بالصَّبْر خفْتُ مَمَاتي

فأعظِمْ بِهِ مِـنْ نَازل بِمُلِمَّة يُزيلُ حَيائي أَوْ يُزيلُ حَيَاتي

فقد جعل الجوع يقارن بين أعزِّ الأشياء في نظر الشاعر (الحياة /الحياء)، فأن لم يسأل الناس يموت جوعاً ، وإنْ طلبهم تخلّى عن حيائه ووقاره ، وهو في حالةٍ من الحَيرة والتشتت عجيبة .

ومن هنا أمكننا الوقوف على الألم والمعاناة التي عاناها ابن دقيق العيد وهو انعكاسٌ لانهيار المجتمع وتهاويه في العصر المملوكي . ولعل ما يلفت النظر في بنية النص هو الافتراق عن أغلب نصوص

شعر الجوع التي جاءت في إطارٍ فكاهيٍ أما نص ابن دقيق فهو نصٌ جاد يعكس تشظي الذات الشاعرة أمام قساوة العصر وتصلبه أمام الناس حرّهم وعبدّهم وقورهم ومتهتكهم .

والذات الشعرية هنا منكسرة واهنة ؛لأنها ذات العالم المُضيّع في أرض الجهل ، ويحدّثنا السبكي عن ابن دقيق ومكانته بقوله : ((ولم أرَ أحداً من أشياخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المئة السابعة المشار إليه في الحديث . فإنه أستاذ زمانه علماً وديناً))[30] .

ونعثر على نصٍ مختلفٍ للبوصيري ؛ وذلك لأن الشاعر يعرض شكواه على لسان أحد المساجد ، وهومسجد الشيخ عبد الظاهر ، والنص يلامس تقانة القناع التي استعملها شعراء العصر الحديث [31] ، وهو بهذا يحاول قول الممكن وتفكيك الممتنع في منجزهِ النصي ؛ ليقف معارضاً ، ومنددا بالأوضاع المتردية ، ويعكس النص الحلم الجماعي في سيادة العدل وانحسار الظلم .

يقول البوصيري[32] :

لَيْتَ شِعرِي ما مُقْتَضَى حِرْماني دُونَ غَيْرِي والإلْفُ لِلرَّحْمنِ ؟

أتَرَاني لا أَسْتَحِـقُّ لِكَوْنِي جامِعاً شَمْلَ قارِئي القرآنِ ؟

أَمْ لِكَوْني في إثْرِ كلِّ صَلاةٍ بيَ يُدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطانِ ؟

وَبِأَيِّ الأَسْبابِ يُعْطَى مَكانٌ صَدَقاتِ السُّلطانِ دُونَ مَكانِ ؟

وتتحقق رؤية الرفض للوضع القائم عبر بنية الاستفهام في مطلع النص الشعري المتمثل في (ما مقتضى حرماني) ، (أتراني لا أستحق) ، (بأي الأسباب) ، وتتداح شعرية الاستفهام لتحقق توهجاً شعرياً يفضي إلى رفض الظلم والدعوى إلى العدالة في توزيع الصدقات على كل البقاع والأمكنة .

وتتفصل شخصية المكان (المسجد) في المنجز النصي بعد أن كانت مندغمة مع ذات الشاعر في قوله[33] :

كيفَ أنْسَى قَوْلَ الشِّهَابِ جِهاراً ؟ قَبَّحَ اللهُ كلَّ ذِي طَيْلَسانِ

خَدَعُونا واللهِ مَمَّا يَمُدُّو نَ أَكُفَّاً كَكِفَّةِ المِيزانِ (م)

آهِ وا ضَيْعَةَ المَساكِينِ إنْ وُلِّيَ أَمْرَ الطَّعامِ في رَمَضانِ

فالمسجد يعرض قول متولي أمر الصدقات (الشهاب) بشأن الفقهاء – الذي يعد البوصيري منهم – ونجد ضمير الجماعة في قوله (خدعونا) ، وتأوه المكان للأذى الذي سيلحق المساكين إن بقى الشخص نفسه مسؤولاً على توزيع الطعام في المسجد في شهر رمضان على المساكين يؤدي إلى ضياعهم وتشردهم ، والبيت الأخير من القصيدة يحمل رؤى استشرافية رافضة للظلم تتجلى عبر المفارقة الدلالية بين ظلم الشهاب وحالة المساكين .

الجوع والتمثيل الشعري

حاول الشاعر في العصر المملوكي في شعر الجوع الاستحواذ على الطعام وامتلاكهُ على مستوى الخطاب الشعري ، بعد أن حُرمَ منه في أرض الواقع ، وهو بهذا أرسى دعائم (شَعْرَنة) [34] الجوع ، أي تحويل أنواع الطعام إلى موضوعات شعرية ، تمّت معالجتها بأدوات جمالية كالتورية ، والاستعارة ،والتشبيه ، والإلغاز ... الخ .

فهذا ابن النقيب يشبه ماء النيل وقت الفيضان ، وقد احمرَّ لونهُ واحلوَّ مذاقهُ بالطحينة والعسل[25] :

نيلُ مصـرٍ لمـن رآه ومن ذاقـهُ وسَلْ

هو في اللون كالطحينـة ، والطعمِ كالعَسـلْ (م)

وشغلت أفعال صنع الطعام وأسماء المأكولات مساحة في نظم الشعراء في العصر المملوكي مثل قول ابن نباته[36] :

أيا من أفاضَ جفون العداة أفضْ من عوائد أيَّامكا

ويا جاعلاً قلب قومٍ شوىً أذقنا حلاوة إنعامكـا

فذكر (الشِواء ، والحلاوة) ، وفعل (الذوق) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بذكر الطعام .

ونقل الشاعر المملوكي أفعال صنع الطعام إلى حقول دلالية مختلفة ، ارتبطت بالجوانب السياسية ولعلي لا أجانب الصواب إذا قلت إنَّ بعض المفردات السياسية المستعملة في العصر الحديث التي تحمل بعداً حداثوياً تضرب بجذورها إلى العصر المملوكي ، وهو ما يدل على انفتاح الشعرية

العربية في العصر المملوكي على الوجه المغيب في المجتمع الذي أعطاها جمالية آسرة نابعة من رحم المعاناة الإنسانية يقول[37] :

وَلَوْكَ إذْ علموا بجَهْلِكَ منْصباً علْماً بـأنَّكَ عن قليلٍ تبْرَخُ

طبَخوا بنارِ العزْل قلبَكَ بعد ذا وكذا القُلوب على المناصِبِ تُطْبَخُ

واتخذ الشعراء من الطعام مادةً للتورية يسميها الدكتور شوقي ضيف (بالتورية المعدية)[38] .

مثل قول محي الدين بن عبد الظاهر[39] :

كم حلا عُجمةً فقلت لخلّي خَلّني والحلاوةُ العجمّيه

وقول أبي الحسين الجزار[40] :

... ولي زوجة إن تشتهي قاهريّةً أقول لها ما القاهريةُ في مصر

وقول مُجير الدين بن تميم[41] :

دعيتُ فكانَ أكلي فخذَ طيرٍ ولم أَشْرَب من الصَّهباءِ نقْطَهْ

وما يومي كأمس وذاك أنِّي أَكلتُ إوزة وشَرِبْتُ بطَّـهْ

وقول أبي الفضل بن أبي الوفاء العارف[42] :

أزداد خدك شعراً فازداد قلبيَ حُبّا

إذ كان وردُك جمْري فيه فصار مُربّى

والمعمار في غزله الماجن يتكئ على مهنة الجزارة وما يلازمها بقوله[43] :

رُبَّ جزارٍ هواه صار لي لحماً ودما

فنِت بالآلية منه وامتلأ قلبيَ شحما

ويتغزل المعمار فيوري بأسماء الطعام فيقول[44] :

في خد من أحببته وردّ ٌ بدا لم أجنهِ

وشامةٌ ذقت لها حلاوةً في صحنهِ

وتمثل الشاعر المملوكي لموضوعة الجوع فنياً عبر أحد أهم الأشكال الجمالية وهو فن الألغاز، واللغز : ((هو أنْ يأتي المتكلِّم بعدّة ألفاظٍ مشتركة من غير ذكر الموصوف ، ويأتي بعبارات يدلُّ ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه ليعمَّى بذلك على طالبه))[45].

فقد جعل الشاعر المملوكي من الطعام موضوعاً للتلغيز ، فتارةً يلغز برغيف الخبز ، وأخرى بالكنافة والقطائف ، والذي يثير الانتباه كثرة النماذج المتوافرة والتي تعكس رؤية عميقة تتعدى البنية السطحية للنصوص الشعرية .

ومنه قول علاء الدين بن الكلاّس ملغزاً في رغيف الخبز[46] :

ومستدير الوجه كالتُّوسِ يجلسُ للناس على كُرْسي

يدخل مثل البدر حمامَـهُ وبعدها يخرج كالشمسِ

يواصل السلطانَ في دستهِ واللصَّ في هاوية الحبسِ

لو غاب عن عنترةٍ ليلةً وَهَتْ قوى عنترة العبسي

وقول أبي الحسين الجزَّار ملغزاً في الخشكنان[47] :

أتعرفُ لي حُبلى إذا ما تنفَّست سرى لأنوفِ القوم من طيبها نشرُ

ويرضعُ منها الثدي ساعة حَمْلِها أبوها فيغدو ، وهي من وقتها بكرُ

تُريكَ جنيناً وهو من غيْرِ جنْسها فوجدانـه حلوٌ ، وفقدانهُ مرُّ

عليْهِ بـهِ سِتْرٌ رقيقٌ وإنما تحلُّ إذا ما دَقَّ من فوقها السِّترُ

إذا كُسرتْ في القوم يُجْبرُ كسْرُها فيحْسنُ بعد الكسرُ من قلبها الجبرُ

تَرُوق عيونَ الناظرين جلالـةً إذا جلست يوماً وموضعُها الصَّدرُ

وتضمين الشاعر المملوكي لأسماء السور القرآنية عكس توقه إلى الطعام ، فاختار أسماء السور الدالة على مسميات تلامس سد الجوع (كالمائدة ، والأنعام) ، ونجد هذا في قول أبي الحسين الجزار[48] :

مالي على الأنعام من قدرة لاسيما في ركعة واحده

فلا تسوموني حضورا سوى في ليلة الأنفال والمائده

ونجح شعر الجوع في اختراق البنية السياسية في العصر المملوكي من خلال قصيدة المديح . التي تمثل الخطاب السياسي الرسمي . فنجح الشاعر العربي في إيصال خطاب المهمشين إلى المركز عبر بث الشكوى (شكوى الجوع) في تضاعيف القصيدة المدحية ، فتمثل الشاعر همومه من الفقر وما يرافقه من جوعٍ وحرمان عرى السلطة السياسية وفضح ألاعيبها .

وقامت الثيمة الموضوعية (شكوى الجوع) بتفجير الشكل الشعري وإنتاج وتشكل ملامح تجديدية في القصيدة النمطية ، ونحن نجد البوصيري في قصيدته الموجهة إلى الوزير حنا يتلاعب بالشكل الشعري من خلال مقدمة القصيدة المدحية الموجهة إلى الآخر /السياسي ، فاعتاض عن الغزل ووصف الأطلال والرحلة إلى وصف جوعه وجوع عياله فقال[49] :

يا أيّها المَوْلَى الوزِيرُ الّذي أيَّامُهُ طائِعَةٌ أَمْرَهْ

ومَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ في العُلا تَكِلُّ عَنْ أَوْصَافِهَا الفِكْرَهْ

أَخْلاقُكَ الغُرُّ دَعَتْنَا إلَى ال إِدْلاءِ في القَوْلِ على غِرَّهْ (م)

إذْ لَمْ تَزَلْ تَصْفَحُ عَمَّنْ جَنَى وتُؤْثِرُ العَفْوَ مَعَ القُدْرَهْ

حتى لقد يَخْفَى على الناسِ ما تُحِبُّ مِنْ أَمْرٍ وَما تَكْرَه

إليكَ نَشْكُو حالَنا إنّنا عائلةٌ في غايَةِ الكَثْرَهْ

أُحَدِّثُ المَوْلَى الحَدِيثَ الّذي جَرَى لهمْ بالخيطِ وَالإِبْرَهْ

صَاموا مَعَ النَّاسِ ولكنَّهمْ كانوا لِمَنْ يُبصِرُهم عِبرَهْ

لهُمْ مِنَ الخُبَّيْزِ مَسْلوقةٌ في كلِّ يَوْمٍ تُشْبِهُ النَّشْرَهْ

أَقُول مَهما اجتمعوا حَوْلَها تَنَزَّهُوا في الماءِ والخُضْرَهْ

وأقبلَ العيدُ وما عندهم قَمْحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فطْرَهْ

فارْحَمْهُمُ إنْ أَبْصَرُوا كَعْكَةً في يَدِ طِفْلٍ أَوْ رَأَوْا تَمْرَه

تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَها بِشَهقَةٍ تَتْبَعُها زَفْرَهْ

فكم أُقاسِي منهمُ لَوْعَةً وكم أُقاسي منهمُ حسرَه

كم قائلٍ يا أبَتا منهمُ قَطَعْتَ عَنَّا الخُبْزَ فِي كَرَّهْ

ونقض الثابت الجمالي / مقدمة القصيدة المدحية من تمظهرات القلق في بنية المجتمع .

ونجد عبارة (يا أيها المولى) تتكرر بشكل مطرد في أغلب القصائد المدحية الموجة إلى الآخر السياسي ، وتقابله عبارة الشكوى أو شكوى الجوع ، فثنائية (السلطة / المجتمع ، أو المركز / الهامش) حققت خطاب (القوي / الضعيف) وفضحت البناء السياسي الظالم .

وبما إن للصورة الشعرية وتشكيلها علاقة مباشرة بالحالات الشعورية المسيطرة على المبدع ، فقد أصبحت ضوءً ساطعاً كشف التواشج الحقيقي بين معاناة الإنسان وتمظهراته الفنية .

فاتكأ شاعر العصر المملوكي على تقنيتين فنيتين هما (التشخيص ، التراسل الحسي) لتغطيان المتن الشعري الملازم لموضوعة الجوع .

وحاول الشاعر عبر هاتين التقنيتين زعزعة الوجود المنطقي للأشياء؛ ذلك عبر التلاعب بالحدود الفاصلة ((للارتفاع بالأشياء إلى مرتبة إنسانية باستعارة صفاته ومشاعره)) [50] ، فشّخص أبو الحسين الجزّار (الكنافة) على شكل امرأةٍ بقوله[51] :

ومالي أرى وجه الكنافة مُغْضباً ولولا رضاها لم أرد رمضانها

عجبتُ لها من رقةٍ كيف أظهرت عليِّ جفاءً صدَّ عني جفانها

تُرَى اتْهَمَتْني بالقطائف فاغتدتْ تصدُّ اعتقاداً أنَّ قلبيَ خانها

ومُذ قاطعتني ما سمعتُ كلامها لأنَّ لساني لم يخالطْ لسانها

فيجعل لها (وجهاً ، ولساناً) ، كما يضفي صفات إنسانية مثل (الهجر ، والجفاء ، والاتهام ، والصد ، والمقاطعة) ، لتصبح أقرب إلى الإنسانية منها إلى الجماد .

ويعكس التراسل الحسي في بعض جوانبه الأزمة الحقيقية في أرض الواقع ، فيلجأ المبدع إلى إعادة التوازن عبر التعويض ؛ ليصبح الشاعر أكثر تفاعلاً مع الوسط الخارجي ، ويمثّل التراسل الحسي في شعر الجوع الشكوى المريرة التي يسوقها الشاعر نتيجةً للآلام التي يعانيها إثر انعدام الطعام أو قلته.

يقول الجزّار[52] :

ما زلتُ في الدَّنيا من الهمِّ طول زمانـي وافر القسمِ

... واعتضْت من فقْري ومن فاقَتي عن التذاذ الطعم بالشمِّ

فحاسة الذوق منتفية عند ابن الجزّار على الرغم من امتهانه لمهنة الجزارة ؛ نتيجةً لفقره المدقع ، وقد حاول أن يعوض عبر حاسةٍ أخرى وهي الشم ليحقق ولو بعض التوازن على المستوى النصي .

وتحقق حاسة البصر عند أبي الحسين الجزّار كذلك وظيفة حسية أخرى ، لتصبح العين حاسة ذوقية في قوله[53] :

... ولكم ليلةٍ شَبعت من الجوع عِشاءً إذ جزت بالحلواني (م)

وأزمة الشاعر النفسية أفضت إلى تشويش المدركات الحسية ، فاختلطت وظائف الحواس ، وتقاطعت الدفقات الشعورية ؛ فامتزجت اللذاذات الحسية وتشظت ، يقول[54] :

تالله ما لثم المراشـف كلا ولا ضمُّ المعاطفْ

بألذّ وقعاً في حشاي من الكنــافة والقطائفْ (م)

فهذا الامتزاج في الوظائف الحسية يعبر عن الارتباك الواقعي الذي يعانيه المجتمع نتيجة لافتقاده أهم عناصر الوجود البشري وهو الطعام ، فتدمير هرم الملذات الإنسانية عبر المنجز النصي ، تعبير صادق عن الاضطراب في الإحساس الجمالي .

<u>الخاتمة ونتائج البحث</u>

بعد هذه الرحلة الطريفة مع شعر الجوع في العصر المملوكي ، توصل الباحث إلى عدة نتائج يمكن إجمالها بالنقاط الآتية :

– عكس شعر الجوع في العصر المملوكي التغيرات الخطيرة التي طرأت على العقل العربي ؛ وذلك عبر تشظي منظومة القيم العربية ، فبعد أنْ كان الكرم قيمة مركزية في سلم القيم العربية ، أصبح في نهاية

السلم القيمي ، فنحن إذا ما نقبنا في مدونة العصر المملوكي التاريخية لا نجد نماذج تجسد قيم الكرم والعطاء كما كان في العصور التي سبقت العصر المملوكي .

– حاول شعر الجوع تعرية المجتمع العربي في العصر المملوكي ولو بطريقة غير مباشرة ، عبر التجاهر بشكوى الجوع وألم الفقر والعوز .

– اتخذت بعض النصوص الشعرية طابع السخرية ، والسخرية في حقيقتها تنديد واحتجاج على الوضع القائم.

– مثّل شعر الجوع في العصر المملوكي الانعطافة الكبرى في مسيرة الشعرية العربية القديمة ؛ ذلك من خلال ملامسته لهموم الناس ومعاناتهم فاحتل بذلك مكانة متميزة في النية الواقعية ؛ لأنه عبَر عن المعاناة الجمعية على الرغم من اتخاذه البوح الذاتي طريقاً تعبيرياً .

– نجح الخطاب الشعري في اختراق البنية السياسية عبر القصيدة المدحية ، وهو ما ساعد على إيصال خطاب المهمشين إلى المركز .

– فجرت الثيمة الموضوعية الشكل الشعري وهو ما ساعد على إنتاج ملامح تجديدية في القصيدة النمطية .

– أصبحت الوسائل الفنية لتشكيل الخطاب الشعري أدواتٍ حقيقية للتعبير عن الواقع ، وهو ما يدحض الرأي القائل بشكلية الشعر العربي في العصور المتأخرة ، فالشكل أصبح مولدا دلاليا للمضمون المختبئ وراءه .

– كشفت المدونة التاريخية في العصر المملوكي عن رغبة السلطة في تجويع الأمة ، وتمظهرت هذه الرغبة عبر عدَة إجراءات سياسية وتشريعية قامت أغلبها على العنف والإقصاء والتهميش ، وبهذا تحول التلاعب بمصير الشعب إلى صناعة تفننت بها السلطة الحاكمة .

– إن الجوع في العصر المملوكي أصبح صناعة بيد السلطة بكل أشكالها وتمظهراتها ؛ لذلك فأن الشاعر العربي عمد إلى استراتيجيات تعبيرية وفنية للتخفيف من المعاناة التي أنتجها المركز ، فأصبحت الثنائية هي (صناعة الجوع / استراتيجيات الشبع).

الهوامش

١ –ينظر : تأريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) : د. شوقي ضيف : 434، والعصر العباسي الثاني : 499، وعصر الدول والإمارات : 423، 635.

٢ –طبقات الشعراء المحدثين : ابن المعتز : 158 ، الترز : الجوع . وينظر كذلك : نفسه : 426–428 . أبو الشمقمق : هو مروان بن محمد ، بصري المنشأ والمربى ، خراساني الأصل ، معنى الشمقمق الطويل ، له أشعار تمس معاناة الشعب ، توفي في حدود الثمانين ومئة للهجرة .ينظر : طبقات الشعراء المحدثين : 157–160، ومعجم الشعراء : 376، والعصر العباسي الأول : 436–440.

٣ –كتاب الورقة : ابن الجراح : 176–177. العُقار : الخمر . الزنانير : جمع زنار ، خيط تلفه الجواري على أوساطهن . أبو المخفف : عاذر بن شاكر البغدادي كان ظريفاً طيباً ، كان في أيام المأمون .

٤ – يتيمة الدهر : 117/3. الأحنف العكبري : هو أبو الحسن عقيل بن محمد ، شاعر المكدين وظريفهم ، توفى سنة (385هـ) . ينظر : يتيمة الدهر : 117/3 ، والنجوم الزاهرة : 173/4 ، وعصر الدول والإمارات : 428–429 .

٥ –النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : 262/11.

٦ –أركيولوجية الفساد والسلطة (في النصوص الأدبية والمدونات العربية القديمة) : 268.

٧ –ينظر : نفسه : 267. وقد تمثّل الشعراء لهذه الظاهرة وصاغوها شعرياً . ينظر : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا :22/2.

٨ –ينظر : الأدب في العصر المملوكي : 60/1.

٩ –السلوك في معرفة دول الملوك : 446/2.

١٠ –قُطز: هو قطز بن عبد الله ، الملك المظفر سيف الدين المعزي ؛ كان من أكبر مماليك المعز أيبك التركماني ، قتله الظاهر بيبرس سنة (658هـ). ينظر : فوات الوفيات : 201–203 ، وتأريخ ابن الوردي : 203/2.

١١ –ينظر : بدائع الزهور في وقائع الدهور : 96/1 .

١٢ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : 220/2.

١٣ – ديوان البوصيري : 259 ، 261 . البوصيري : هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري ، ولد في سنة (608هـ) بناحية دلاص ، توفى في القاهرة سنة (694هـ) . ينظر : تاريخ الادب العربي : 674/3.

١٤ –نفسه : 262.

١٥ –الأدب في العصر المملوكي (الشعر والشعراء) : 213/3 .

١٦ – ينظر رأي الذهبي في الملك الظاهر بِيَبرْس . حُسن المحاضرة : 2 / 110 .

١٧ –ينظر : أخذ الظاهر بِيَبرْس لفتاوى علماء الشام في جواز أخذ أموال الرعية . حُسن المحاضرة : 2 / 110 .

١٨ –ينظر : ذيل مرآة الزمان : 20/3 .

١٩ –أبو الحسين الجزار (حياته وشعره) : 71 . الثفال : . بكسر الثاء . الجلد الذي يبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب . الشونيز : حبة السوداء . وينظر : المختار من شعر ابن دانيال : 87، 103 ، 214 .
ابن الجزار : هو جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الجزَار الأنصاري المصري ، ولد سنة (601هـ)،كان في أول أمره جزاراً ثم ترك الجزارة وجَعل يتكسب بالشعر ، مال في بعض الأحيان إلى احتراف الكتابة في الدواوين ، توفى في مصر سنة (679هـ). ينظر : فوات الوفيات : 398/2–400 ، تأريخ الأدب العربي : 644/3 ، بروكلمان : 409/1 .

٢٠ –دراسة شعر سراج الدين الوراق مع تحقيق منتخب من شعره المسمى (لمع السراج) : 225. هو سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الورَاق المصري ، ولد سنة (615هـ) ، كان كاتباً مترسلاً ، كانت وفاته في القاهرة سنة (695هـ) . ينظر: فوات الوفيات : 140/3، تاريخ الأدب العربي : 3/ 682 ، بروكلمان : 1/ 314 .

٢١ –نجد بعض المؤلفات اتخذت من أنواع الأطعمة عنواناً لها ، ينظر على سبيل المثال كتاب منهل اللطائف في الكنافة والقطائف : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمود نصَار.

٢٢ –أبو الحسين الجزَار (حياته وشعره) : 34–35 ، وينظر : ديوان البوصيري : 158– 159 .

٢٣ –ديوان البوصيري : 111.

٢٤ –ديوان ابن نُباته المصري : 315 ، هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن نُباته الفارقيَ المصري ، ولد في القاهرة سنة (686هـ) ، شاعر وراجز ووشاح وهو ناثر ومترسَل ، توفى سنة (768هـ) . ينظر : الدرر الكامنة : 347/4 ،حُسن المحاضرة : 1/ 273 .

٢٥ –المختار من شعر ابن دانيال : 175 . ابن دانيال : هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن دانيال المؤصلي ، ولد في الموصل سنة (646هـ) ، وهاجر إلى مصر سنة (665هـ) ، توفى سنة (710هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 330/3 –331، تأريخ الأدب العربي : 3/ 706 .

٢٦ –ينظر : ألحان السواجع بين البادئ والمراجع : 187/4– 188 ، وفوات الوفيات : 3/ 91–92 .

٢٧ –المختار من شعر ابن دانيال : 190–191. وينظر كذلك : نفسه : 150–152 .

٢٨ –دراسة شعر سراج الدين الوراق : 180.

٢٩ –فوات الوفيات : 445/3–446 . ابن دقيق العيد : هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ، ولد سنة (625هـ) ، نشأ في مدينة قُوص في صعيد مصر ، في سنة (695هـ) تولَى منصب قاضي القضاة بالديار المصرية وبقي حتى وافاه الأجل سنة (702هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 445/3–446 .

٣٠ –طبقات الشافعية : 240/6.

٣١ –للوقوف على تقانة القناع في الشعر العربي الحديث ينظر : أساليب الشعرية المعاصرة ، الدكتور . صلاح فضل ، ط (1) ، بيروت ، 1995م. ودير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، الدكتور. محسن أطيمش ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1982م .

٣٢ –ديوان البوصيري : 257– 258 .

٣٣ –نفسه : 259 . طيلسان : رداء أخضر يلبسه الفقهاء .

٣٤ –ينظر : النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) : 144، وتمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيَل العربي الوسيط) : 434 .

٣٥ –الأدب في العصر المملوكي : 3/ 162 ، وينظر : تأريخ ابن الوردي : 179/2 . ابن النقيب : هو ناصر الدين الحسن ابن النقيب ، كانت بينه وبين سراج الين الورّاق مراسلات ، كان شاعراً مكثراً ، توفى في القاهرة سنة (687هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 1/ 151– 156 .

٣٦ –ألحان السواجع بين البادئ والمراجع : 80/4 ، البيتان سقطا من ديوان ابن نُباته . وينظر كذلك : ديوان أبن نبُاته : 80–357 .

٣٧ –معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : 2/ 420 . وينظر : ديوان مُجير الدين بن تميم : 16–17 .

٣٨ –ينظر : في الشعر والفكاهة في مصر : 75 .

٣٩ –نفسه : 74 . هو محي الدين بن عبد الظاهر بن نشوان المصري ، ولد في القاهرة في سنة (620هـ) ، تولى ديوان الإنشاء في أيام الظاهر بيبرس ، كانت وفاته سنة (692هـ) . ينظر : تاريخ الأدب العربي : 664/3.

٤٠ –أبو الحسين الجزّار : 36 .

٤١ –ديوان مُجير الدين بن تميم : 126 . الصهباء : الخمرة . مُجير الدين : هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب سبط فخر الدين بن تميم ، ولد في دمشق ، كان دمث الأخلاق ، لطيف الشعر ، توفى بحماة سنة (684هـ) .ينظر : فوات الوفيات : 4/54–55 .

٤٢ –خزانة الأدب وغاية الأرب : 223/2 . مرُبَّى : نوع من الحلوى ، أو ذو تربية .

٤٣ –نفسه : 2/ 179 . الآلية : عجيزة الغنم ، وما ركبها من شحمٍ ولحم .

المعمار : إبراهيم الحائك وقيل المعمار وقيل الحجار غلام النوري المصري مطبوع تقع له التوريات المليحة المتمكنة المطبوعة الجيدة لاسيما في الأزجال بحيث أنه في ذلك غاية لا تدرك ، توفى سنة (749هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 1/ 50–53 .

٤٤ –نفسه : 2 /181 . صحن الخد : صفحته . وينظر : نفسه : 186 .

٤٥ –نفسه : 2 / 337 .

٤٦ –فوات الوفيات:3 / 9 . علي بن محمد، علاء الدين الدواداري، يعرف بابن الريس وابن الكلاس؛ كان جندياً بدمشق، رأيته بسوق الكتب غير مرة؛ كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً، له تعاليق ومجامع تدل على حسن اختياره فيها على فضله؛ توفي بحطين –قرية من قرى صفد– في سنة (730 هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 3/ 93– 94 .

٤٧ –أبو الحسين الجزّار (حياته وشعره) : 130 . الخشكنان : نوع من الحلويات يتكون من الدقيق المعجون بالسكر والبيض ، يخبز على شكل أقراص صغيرة . وينظر كذلك : المستطرف في كل فن مستظرف : 520 ، وخزانة الأدب : 2 / 348 – 349 .

٤٨ –أبو الحسين الجزّار (حياته وشعره) : 126 .

٤٩ –ديوان البوصيري : 110 – 112 ، وينظر كذلك : أبو الحسين الجزّار (حياته وشعره) : 10 – 12 ، 16 – 17 ، 55 – 56 . ابن حنا : هو علي بن محمد بن سليم ، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنا المصري ، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور عاش أربعاً وسبعين سنة ، وتوفي سنة (677هـ) . ينظر : فوات الوفيات : 76/3 – 77 .

٥٠ –الصورة الفنية في شعر أبي تمّام : 212 .

٥١ –أبو الحسين الجزّار (حياته وشعره) : 66 ، وينظر : المختار من شعر ابن دانيال : 120 ، 212 .

٥٢ –نفسه : 25 .

٥٣ –نفسه : 35 .

٥٤ –نفسه : نفسها .

مصادر البحث ومراجعه

- أبُو الحُسَيْن الجَزّ َار حياتُهُ وشِعْرُهُ (دراسة وجمع وتحقيق) : حسين عبد العالي اللهيبي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ،ابن رشد / جامعة بغداد ، 2006م .
- الأدب في العصر المملوكي : د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، 1971م .

- الأدب في العصر المملوكي (الشعر والشعراء) : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1984م .
- أركيولوجية الفساد والسلطة (في النصوص الأدبية والمدونات العربية القديمة) : أ . د. قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2009م .
- أساليب الشعرية المعاصرة ، الدكتور . صلاح فضل ، ط (1) ، بيروت ، 1995م.
- ألحان السواجع بين البادئ والمُراجِع : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ) ، تحقيق : محمد عايش ، ط (1) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 2007م .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن إياس المصري (ت 930هـ) ، تحقيق : محمد مصطفى ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، 1954م .
- تاريخ ابن الوردي : زين الدين عمر بن المظفر ، الشهير بابن الوردي (ت 749هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط(1) ، بيروت ، 1997م .
- تاريخ الأدب العربي (الأدب العربي في المشرق من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني 400 – 923هـ) : عمر فرّوخ ، دار العلم للملايين ، ط (5) ، بيروت – لبنان ، 1989 م .
- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) : د. شوقي ضيف ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1975م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) : د. شوقي ضيف ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1980م.
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والأمارات) : د. شوقي ضيف ، منشورات ذوي القربى ، ط (1) ، 1428هـ .
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر 1959 .
- تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط) : د. نادر كاظم ، المؤسسة العربة للدراسات والنشر ، ط(1) ، بيروت ، 2004م .
- حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، الإمام جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط (1) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1997 .

- خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي (ت 837هـ) ، قدمه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه : د. صلاح الدين الهواري ، ط (1) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 م .
- دراسة شعر سراج الدين الوراق مع تحقيق منتخب من شعره المسمى (لمع السراج) : محمود عبد الرحيم عيد صالح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1977م.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثانية : أبن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب المصرية ، (د. ت) .
- دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر) : د. محسن أطيمش ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1982م .
- ديوان ابن نباته المصري ، محمد بن شمس الدين محمد (ت768هـ) ، مطبعة التمدن ، القاهرة ، 1905م .
- ديوان البوصيري ، محمد بن سعيد (ت 696هـ) ، دار المعرفة ، ط (1) ، بيروت – لبنان ، 2007م.
- ديوان مجير الدين بن تميم: تحقيق: هلال ناجي، د.ناظم رشيد. عالم الكتب– بيروت 1999.
- – ذيل مرآة الزمان : لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني (726هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الدكن ، الهند 1380هـ/ 1960م .
- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت 1069هـ) ، وضع حواشيه وفهارسه : أحمد عناية ، دار الكتب العلمية ، ط(1) ، بيروت–لبنان ، 2005م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ) ، تحقيق:محمد عبد القادر عظا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .
- الصورة الفنية في شعر أبي تمّام : د. عبد القادر الربّاعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(2) ، بيروت ، 1999م .
- طبقات الشافعية الكبرى : لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (1) 1999م .
- طبقات الشعراء المحدثين: لأبي العباس عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله (ت296هـ) ، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان ، 1998م .
- فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1974م .

- في الشعر والفكاهة في مصر ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، 1999م .
- كتاب الورقة ، أبو عبد الله محمد بن داود (ابن الجراح ، ت 296هـ) ، تحقيق : عبد الوهاب عزّام ، وعبد الستار فرّاج ، ط(2) ، (د.ت) .
- المختار من شعر أبن دانيال ، اختيار الصفدي : حققه وعلق عليه واستدرك : محمد نايف الدليمي ، مطبعة بسام ، الموصل ، 1979.
- المستطرف في كل فن مستظرف : لشهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشيهي (ت 850هـ) ، شرحه ووضع حواشيه : إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، (د.ت) .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : عبد الرحيم العباسي (ت 963هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، 1947م .
- معجم الشعراء : لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 378هـ) تحقيق : د. فاروق أسيلم ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، 2005م .
- منهل اللطائف في الكنافة والقطائف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد نصّار ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1994م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت 874هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1963م .
- النقد الثقافي (قراءة في الإنسان الثقافية العربية) ، د. عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، ط(3) ، بيروت – الدار البيضاء ، 2005م .
- يتيمة الدهر : لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ) تحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983م .

Abctract

The title of research deals with " Al – jouaa poetry in Arabic literature specialized the late Abassis age " Al – jouaa is a poetic theme in that age .

The poet of Al – jouaa act the term and refine in his poems . The poet of the age considered almost of creature to render the reality in to imagination ,as areasult in the taken massige of peotic become more reailty than megical method.

The research which consiste of intrucluction and three types :

1- Spereate severity .
2- Existing Al – jouaa poetic .
3- Characterization of Al – jouaa poetic the conclusion of research cosist of several facts , Discovering the serious changing in Arabic thought , the historical manscuripte released the desiv of authority for hung the nation .